وردة اليـــازجي

للأستاذ يوسف يعقوب مسكوني

— ٢ —

وقالت ترثي الأمير أمين أرسلان المتوفى سنة ١٢٧٥ هـ :

كأس المنية دائر بين الورى يسقى الكبير ولا يفوت الأصغرا
ما هـــذه الدنيا بدار إقامـة
إلا كطيف الحلم فى سنة الكرى
كل على هذا الطريق مسافر لا بد منه مقدماً ومؤخرا

وكذلك تقول :

هـــذا الذى بالأمس كان مكانه
ثم القصور فكيف يرضى بالثرى

ثم أيضاً تقول بما فيه الجناس :

سار السرور عن السرير لفقده وعن السرائر والأسرة قد سرى
هذا هو السيف الصقيل أصابه سيف من القدر الذى قد قدرا

تبكي البلاغة واليراعـــة والحجى
والعزم فى الخطب الشديد إذا اعترى
لو تعلم الشمس المنيرة فقده كسفت أو البدر المنير تحيرا
أو كان للحجر الأصم محاجر أجرى عليه من الدامع أنهرا

وكذلك فهى تقول :

يا ركن لبنان العظيم عليك قد كادت ربى لبنان أن تتفطرا

إلى أن قالت :

إن كنت غبت عن العيون فلم يزل
لك رسم شخص فى القلوب مصورا

ثم تقول أيضاً :

لو كان يظهر سحاب ضريحه إلا على صفحاته لم يمطرا

وكذلك تقول خاتمة :

ناداه رب العرش من كرسيّه هانحن أعطينا الأمين الكوثرا

وقالت ترثى ولداً نبيهاً :

زوّد النعش قبل شد الرحال إن هذى الحياة طيف خيال

المبسول) (والعرق الذى يفيض شهداً) (والخلق السمح والبال الرخى) .

ولقد كان له فى نفس بن جونسون[1] صديقه الأدنى وثانى الشعراء والمؤلفين المسرحيين بعده منزلة وطيدة راسخة الأثر ، برغم أنه كان يغمزه أحياناً ويأخذ عليه ما يبدو فى أدبه من نقص فى الثقافة والعلم . فإنك لا ريب ذاكر تلك القصيدة العصماء التى قد لا يعلو عليها شيء فى الرثاء ، وقد نظمها بعد وفاة شكسبير ، وصدر بها المجموعة الأولى من مسرحيات شكسبير ، وفيها يؤبن الشاعر ويطنب فى مدحه ، فيصفه (بأوزة آفون الحلوة)[2] (وبأنه روح العصر ، وفخر المسرح وجذله وسروره) ، ثم يضعه فوق تشوسر وسبنسر[3] وبيمونت[4] بل يجعله وحده (تمثالا فريداً لا ضريح له) .

ثم يصف كيف غشى نجم شكسبير بنوره المتألق الساطع وأخفى ضياء تلك الكواكب الزاهرة فى عالم الأدب كمارلو وكد وليلى وغيرهم من فطاحل الأدباء . وفى هذه القصيدة : نفثة من هاتيك النفثات الفريدة الصادقة التى يلفظها أحيانا العقل والقلب معاً فتقارب بقوتها وسحرها وروعتها أخلد النبوات . (فهو يرى لبريطانيا أن تسر وتغتبط إذ أنجبت هذا الابن العظيم الذى سوف تباهيه وتطيعه وتخلص له جميع المسارح فى أوروبا ؛ وأن شكسبير لم يكن لعصر واحد ، وإنما للزمان بأكمله ، ولا أظنك بحاجة لشرح وبسط ما حققت الأيام من هذه النبوة الرائعة ، فقد أصبح شكسبير منهلا للأدب عذبا ، ومنبعاً لا يغيض ماؤه وأضحى نجمه يشع فى سماء الأدب إشعاعا ، ويتلألأ بالنور الزاهر الدائم ، فيهتدى به الشعراء فى انجلترا وفى معظم أقطار العالم أيضاً .

شرق الأردن — مريس فرنسيس

---

(١) (Ben jonson)
(٢) Sweet Swan of Avon
(٣) Spenser شاعر انجليزى كبير معاصر لشكسبير
(٤) Beamont معاصر لشكسبير أيضا

وحياة الدنيا طريق يؤدى نحو دار البقاء ذات الجلال

وتقول :

يا هلالا قد احتوى نور بدر كيف لو تم نورك المتلالى
إن يكن قد خلا سريرك يوماً منك فالقلب ليس منك بخالى

وقالت ترثى الأمير سعيد الشهابى :

ترى من غاب عنا هل يعود لعمرك إنه أمـــل بعيـد
فراق الحى محدود ولكن فراق الميت ليس له حدود

ثم تقول :

شريف الأصل من أشراف دهر تسلسل والرواة له شهود

وكذلك فهى تقول :

فته عجباً أيا قـــبراً حواه وقل أنا فى الورى فلك جديد
فريداً كنت ما بين البرايا وأنت اليوم فى قبر فريد
لأعين أهله سهد طويل ومن عبراتهم بحر مديد

ثم تقول :

لئن تلك غبت عن دار ستفنى ففى الفردوس صار لك الخلود

وقالت ترثى كاتبة بنت موسى بسترس التى ذكرناها آنفا وهى من صديقاتها اللواتى كانت ترأسلهن :

يا بنت موسى قد دعاك الله من طور الجلال كما دعاه بما مضى
قد شق موسى بالعصا بحراً طغى وتراك شققت القلوب بلا عصا

ثم تقول :

قد أنشبت فيك المنون سهامها ظلما ولم تشفق على ذاك الصبا

وكذلك تقول :

بكت المعارف واللغـــات تأسفاً
يوم الفراق على المعـــارف والتقى

ورثت سارة بنت المعلم بطرس البستانى بقولها :

يابين ويحك هل أبقيت فى البشر عيناً بلا دمعة حرى ولا كدر

ومنها :

تبكى على فقدك الأتراب دمع دم
أغنت تراك به عن مدمع المطر

قد كنت بين بنات العصر جوهرة
عظيمة الشأن تزرى أفضل الدرر

ثم تقول :

يا نومة ما لها من يقظة أبداً وغيبة ما لها فى الدهر من حضر
إن لم تعد نحونا يوماً فنحن غداً نسعى إليها ولو كنا على حذر

وفى رثاء أخيها حبيب تقول :

ياعين وردة فى الأسحار والأصل أبكى لفقد حبيب عنك مرتحل
ويا فؤادى تفتت بعد مصرعه فان سيف المنايا سابق العذل
ويا سلو ابتعد عن مهجتى أبداً ويادموع انزلى كالعارض الهطل

ثم تقول :

غاب الحبيب حبيب الروح عن حلل
باتت لفرقته فى أســـود الحلل
ويحيى من البين إن البين جارحنا بأسهم لم تزل منها على وجل

وكذلك تقول :

رمى الحبيب بسهم قد أصيب به فبات منطرحاً كالشارب الثمل
روحى فدى ذلك القد الذى قصفت
منه المنايا قواماً كان كالأسل
روحى فدى ذلك الوجه الذى كسفت
جماله حادثات الدهر والعلـــل
يا فارس[1] اليوم أشرق قد أتاك على
قرب حبيب فلا تشكو من الملل
بدران أظلمت الآفاق بعدهما فى مقلتى وضاقت بالأسى سبلى
قد كدرت غير الأيام موردنا وبدّل الدهر ما نرجوه من أمل

ثم تقول :

لا أخمد الله نارا فى الحشا اشتعلت منى ولا نشفت عينى من البلل

---

(١) وفارس هذا هو أخوها وقد توفى قبل أخيه وقد رثته وردة بقصيدة ورد منها هذه الأبيات وهى قطعة من كبدها ومطلعها هو :

يا عين ويحك كم أشعلت نيرانا على القلوب وكم أدميت أجفانا

وتقول أيضاً :

يا ويح خنساء عينى وهى باكية صخراً بدمع لديه الصخر قد لانا

وكذلك تقول :

يا مهجة القلب هل عود نؤمله وهل كتاب سلام منك حيانا
ألبستنى ثوب حزن لست أخلعه حتى أبدل منه فيه أكفانا
لا رطب الله قلباً ظل مشتعلا منى ولا جف دمع سال غدرانا

وتختم رثاءها قائلة :

فاذهب عليك سلام الله ما طلعت شمس وزادك من نعماه رضوانا

ولا عرفت ســـلواً فى الحياة إلى
أن ألتقى بك فى مستقبل الأجـل

ثم قالت ترثى والدها وقد توفى سنة ١٨٧١ م :

تكاثرت الأحزان فى كبدى الحرى
وزادت دموع البين فى عينى الشكرى
وجارت على ضعفى الليالى وأوقدت
بطى فؤادى من نوائبها جمرا
وقد آلمتنى الحادثات بصرفها كما ألمت خنساء إذ فقدت صخرا

ثم تقول :

فتباً ليوم فرق الدهر شملنا وجمّع فى قلبى مصائبه تترى

وهى تقول أيضا :

أيا علم الشرق المبجل والذى أقرت له بالفضل كل الورى طرا
ويامعدن العلم الذى ضمه الثرى وكم معدن كان التراب له سترا
ويا بحر فضل كان بالدرّ زاخراً لفقدك كاد البحر أن يفقد الدرا
ويا من بمسراه تبتمت العلى كما يتم التأليف والنظم والنثرا
ينوح عليك الشعر دهراً وطالما
بك اهتز فاستعلى على فلك الشعرى

ثم تختم قائلة :

وقد غبت يا شمس العلوم وبدرها
فأصبح كل ينـدب الشمس والبدرا
فيا قبره أكرم أعـــز وديعة
بطيك لم تبرح لأهـل الورى ذخرا

أما مطلع قصيدتها فى رثاء أخيها نصار وقد توفى فى مدينة زحلة سنة ١٨٧٤ م فهو :

ويلاه ويلاه كم نشكو ونلتحب وكم علينا صروف الدهر تنقلب
وكم تجور الليالى فى حوادثها على فؤاد بنار الحزن يلتهب

ثم تقول :

يأرض زحلة لى فى حبها شغف إذ فى حماها شقيق الروح محتجب
يا راحلا راح صفو العيش يتبعه
واستوطنت بعده الأحزان والكرب

ثم تقول أيضاً :

يا قلب صبراً على ما قد أصبت به ولا ترعك البلايا وهى تعتقب
قد عودتك الليالى الحزن من صغر حتى غدوت إلى الأحزان تنتسب

إلى أن قالت :

يا رحمـــة الله زوريه ميممة تربا له قد سقت أرجاءه السحب
وآنسى من ثراه مضجعاً بحمى لبنان فيه حبيب القلب مغترب
منى عليه ســـلام الله ما غربت
شمس وما طلعت فى أفقهـا الشهب

وفى رثاء أختها راحيل تقول :

متى تترك الأيام دمعى لا يجرى وقلبى المعنى لا يبيت على جمر
أبى الله أن أنسى وكيف وفى دمى
قد امتزجت أحزان خنسا على صخر

ثم تختم الرثاء بقولها :

وما لك قبر واحـــد فقلوبنا
قبور حوت أمثال شخصك فى القبر

وقالت ترثى أخاها خليلا :

رويدك يا من قد نعيت لنـا البدرا
أتحمل نعياً ضمن طرسك أم جمـرا
ألا أيها القلب الحزين إلى مـــتى
تقاسى خطوب الدهر منقضة تترى
تراكمت الأرزاء من كل جانب عليك فلا يوم يمر بلا ذكرى

ثم قالت :

وياطرف إن جفت دموعك فاتخذ دم القلب دمعاً فوق تربته يُذرى

وتقول أيضا :

ولم أوف حق الحب إن لم أمت أسى عليه فعيشى صرت أحسبه غدرا

وتختم الرثاء بقولها :

سلام على وجـــه الخليل وناره
بطى الحشا قد أفنت القلب والصدرا
له العفو والرضوان من فضل راحم
ولى مدمع الخنساء إذ فقدت صخرا

(يتبع) **يوسف يعقوب مسكونى**